

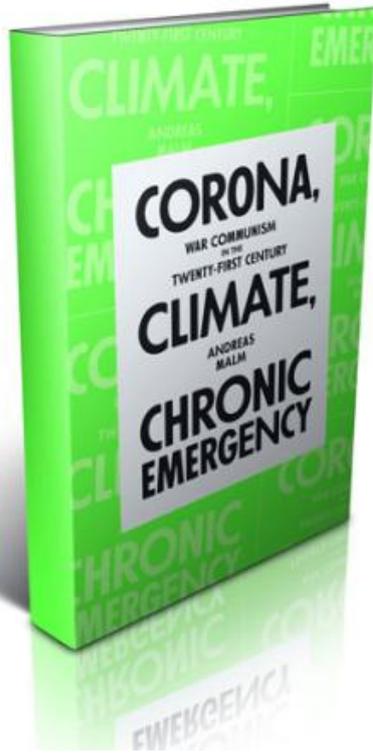
الخبير

كتب و كتاب

18 ديسمبر 2020 22:54 مساء

سياسات بيئية جديدة في ظل الوباء





عن المؤلف



أندرياس مالم

أندرياس مالم عالم سويدي من مواليد 1977 متخصص في البيئة البشرية، له عدد من المؤلفات منها «تقدّم هذه العاصفة»، و«رأس المال الأحفوري» الذي فاز بجائزة إسحاق ومارا دويتشر التذكارية

خلف وباء فيروس كورونا تأثيراً اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً في جميع أنحاء العالم بشكل لم يسبق له مثيل. تحدثت الحكومات عن كونها في حالة حرب، ووجدت نفسها مجبرة على البحث عن طرق جديدة من أجل الحفاظ على النظام العام ومنع انتشار الفيروس. لكن ماذا يخبرنا كوفيد-19 عن انهيار المناخ، وماذا يجب أن نفعل حيال ذلك؟

يطالب أندرياس مالم، المفكر البيئي الرائد، في كتابه هذا بعنوان «كورونا، المناخ، حالة الطوارئ المزمّنة» الصادر عن دار فيرسو للنشر في 224 صفحة في سبتمبر 2020، بتطبيق حالة التأهب للحرب هذه على أساس دائم على خط المواجهة المناخي المستمر، ويقدم مقترحات حول كيفية استخدام حركة المناخ حالة الطوارئ الحالية لإثبات هذه الحالة، ويرى أنه لم يعد هناك عذر للتقاعس عن العمل

مالم ناشط سياسي منذ فترة طويلة، وهو كتب هذا العمل أثناء احتجاجه خلال الوباء في برلين، حيث كان زميلاً باحثاً في جامعة هومبولت. بعد عودته إلى مالمو مع عائلته، تعاطف مع سياسة مكافحة الإغلاق في السويد قائلاً: لا يجب أن تحرم جيلاً كاملاً من الأطفال من حياة طبيعية نسبياً. وشدد على أن نهج الدولة لم يولد من الفردية النيوليبرالية ولكن من تقليد معين لسياسة الصحة العامة

وهو يشير في العنوان الفرعي من الكتاب وهو «شيوعية الحرب في القرن الحادي والعشرين» إلى التأميم الجماعي الذي فرضه البلاشفة خلال الحرب الأهلية الروسية بين عامي 1918 و1921، وهو خيار اعترف بأنه استفزاز متعمد. لكن استدعاء البلاشفة في سياق تغير المناخ يخدم غرضاً إيديولوجياً. يقول: ما يميز شيوعية الحرب عن الحرب العالمية الثانية هي أنها بدأت بهزيمة الطبقات المهيمنة

من خلال الإشارة إلى الندرة الشديدة التي واجهتها روسيا بعد الحرب العالمية الأولى، يهدف مالم إلى تمييز مقاربتة عن نهج الديمقراطيين الاجتماعيين، فضلاً عن شيوعي الرفاهية. يقول: أمام فكرة أننا ننتقل إلى عصر الوفرة المادية، والسيطرة على الطبيعة بشكل لا متناه، ونذهب إلى الكويكبات وننقبها... أعتقد أننا نواجه العكس.. حالة من الندرة العميقة للكثير من الموارد الفيزيائية الحيوية. يجب التفكير في الشيوعية في ما يتعلق بذلك

يدعو مالم إلى تأميم شركات النفط والغاز وتحويلها إلى منظمات لإزالة ثاني أكسيد الكربون من خلال تقنية التقاط الهواء وحظر استهلاك لحوم الأحياء البرية والتخلص التدريجي من جميع اللحوم ووضع حد لمعظم السفر الجوي. بعد الحرمان الذي فرضه كوفيد-19، لم تعد هذه القيود تبدو غير واردة. يقول: يجب أن نقول إن بعض أشكال الاستهلاك غير ضرورية ومدمرة تماماً، وتؤدي إلى تفاقم مخاطر الأوبئة في المستقبل، ويجب تنظيم هذه الأشكال. لا أعتقد أن النتيجة الجيدة أمر محتمل. الشيء المحتمل هو الكارثة المتصاعدة لكنك لا تختار أبداً سياستك بناءً على تقييم الاحتمالية. وإذا كنت تعتقد أن نتيجة كارثية محتملة، فهذا سبب للخروج والمواجهة

الرأسمالية والوباء

الكتاب الجديد هذا هو عن كيفية حل أزمة المناخ، والمؤلف لا يشعر بالحرص من تسمية الرأسمالية الأحفورية على وجه التحديد على أنها خصم الإنسانية. يوضح مالم كيف أن الاحتباس الحراري، وهو أحد منتجات الرأسمالية، يجعل النظام مدمراً بشكل فريد وشامل. يستخدم مالم جائحة كوفيد-19 للتفكير في التعبئة الطارئة لقدرات الدولة استجابة لانبعاثات ثاني أكسيد الكربون البشرية المنشأ. لكن تشبيهه التاريخي المفضل هو شيوعية الحرب، وسياسة لينين من العقد الثاني من القرن العشرين للتعامل مع الأزمات المتشابكة من الغزو والجوع والفقر والدفاع عن النفس بعد الثورة الروسية.

يبدأ مالم بعلم الاجتماع المقارن للاستجابات على مستوى الدولة لكوفيد-19 والسياسة المتعلقة بالمناخ. يتساءل لماذا كانت الدولة (أو دول القلب الرأسمالي) سريعة وفعالة جداً في احتواء كوفيد-19 وبطيئة جداً وغير كفؤة في التعامل مع تغير المناخ؟ الجواب بسيط: كان ضحايا كوفيد-19، أو كان من المقرر أن يكونوا من كبار السن والأثرياء من البيض، في حين أن الضحايا الأوائل للعصر الرأسمالي هم أشخاص ملونون في العالم الثالث. قررت الحكومات في العالم الأول التضحية برفاهية الاقتصاد الرأسمالي من أجل المسنين والفئات الأصغر سناً: يمكن للمرء أن يعتبر هذه اللحظة بمثابة إخراج أفضل ما في الديمقراطية البرجوازية الحديثة. أظهر رد الفعل هذا استعداد الناس لقبول إجراءات الطوارئ، حتى في الوقت الذي أظهر فيه أيضاً عدم قدرة الدولة الرأسمالية على التوجه بشكل فعال إلى جذور حالة الطوارئ الصحية: إزالة الغابات، وانتشار الأمراض الحيوانية المنشأ، والاحتضان المتسارع للفيروسات، وانتقال العدوى من الحيوان إلى الإنسان، ومسببات أخرى.

يناقش مالم أن انتشار الفيروسات الوبائية نتاج للقوى الرأسمالية. وتشمل عوامل ناجمة عن الزراعة الصناعية، وإزالة الغابات، والتجارة الفاخرة في الحيوانات البرية، والطيوان. معظم هذه العوامل هي أيضاً من دوافع الانهيار المناخي. ويرى أن الفيروسات تنشأ من تجريف الغابات التي تخلف جرثومات بشكل خاص. مع زحف الجرافات والحرائق المتعمدة، يتم حشر الحيوانات في جزر أصغر. ومع ازدياد مناطق التلامس، تصبح الكائنات المنعزلة على اتصال وثيق مع حيوانات المزرعة والبشر، ما يؤدي إلى انتشار المسارات التي تتجمع على طولها مسببات الأمراض وتنتشر.

يعزو مالم ثلث التهديدات الوجودية للأنواع الحيوانية بشكل مباشر إلى طلب الدول الغنية على سلع مثل البن ولحم البقر والشاي والسكر وزيت النخيل. يبدو الأمر كما لو أن المجتمع الرأسمالي قد قرر رفع حاوية فيروسات كورونا ومسببات الأمراض الأخرى وإلقاء العبء على نفسه. ويجد أنه يمكننا أن نرى كوفيد-19 على أنه أول طفرة من الانقراض الجماعي السادس تضرب البشرية في الجبهة.

كورونا والمناخ

يرى مالم أنه في الأيام الأولى من إبريل 2020، كان العدد الإجمالي للحالات المسجلة في جائحة الفيروس التاجي على وشك تجاوز عتبة المليون وعدد الضحايا يتجاوز 50000، ولا أحد يعرف كيف سينتهي هذا. لإعادة صياغة ما قاله لينين، يبدو الأمر كما لو أن عقوداً قد حُشرت في أسابيع، والعالم يدور في سرعة أعلى، ما يترك كل التوقعات مفتوحة. يمكننا أن نتخيل كوكباً محموماً يسكنه أشخاص يعانون من الحمى: سيكون هناك احتباس حراري على المستوى العالمي، بالإضافة إلى الأوبئة، وغرق الأحياء الفقيرة في البحر مع وفاة الناس من الالتهاب الرئوي، على سبيل المثال، مومباي، حيث أبلغ حي دارافي الفقير في هذه المدينة عن أول حالة إصابة بفيروس كورونا. ويعيش مليون شخص في أحياء قريبة من دارافي، مع الحد الأدنى من الوصول إلى المرافق الصحية، وفي كل عام، تغزو العواصف العشوائية

بمياه أعلى. ستكون هناك مخيمات للاجئين، حيث تأكل مسببات الأمراض طريقها عبر الجثث المزدحمة مثل الصمامات عبر الأسلاك. سيكون الجو حاراً جداً، وسيكون هناك الكثير من العدوى، بحيث لا يمكن الخروج منها. ستتصدع الحقول تحت أشعة الشمس مع عدم وجود من يعتني بها. ولكن من ناحية أخرى، جاءت أزمة كورونا من البداية بوعد العودة إلى الحالة الطبيعية، وكان هذا الوعد كبيراً بشكل غير عادي وذا مصداقية، لأن المرض بدأ أكثر من مجرد انهيار بنك استثماري، على سبيل المثال.

كان الفيروس مثلاً لصدمة خارجية، وشعر الجميع أنه سوف يتلاشى خلال شهر أو في اليوم التالي. قد تكون هناك موجة أخرى ولكن لا يزال قوياً على العموم. ربما ظهور لقاح يمكن أن يخنق الوباء. تم الإعلان عن كل إجراء تم اتخاذه لاحتوائه على أنه مؤقت، مثل شريط الشرطة الذي يشير إلى الشارع، وبالتالي يمكننا بسهولة أن نحسد كوكباً عاد إلى الوضع السابق. سوف تمتلئ الشوارع مرة أخرى. سيرمي المتسوقون كمادات الوجه بارتياح ويحتشدون في مراكز التسوق. سيكون هناك دافع مكبوت للجميع لكي ينتقلوا من حيث توقفوا عندما ضرب الفيروس، وسيتم إطلاقه بحماسة: عودة الطائرات إلى السماء، وتبرعم مظلة من النفاثات البيضاء. قد يكون الاستهلاك الخاص أكثر جاذبية من أي وقت مضى. لكن من يريد الوقوف في حافلة أو قطار مكتظ بعد ذلك؟

تغيير ظلال التطرف

يرى الكاتب أن «كورونا» والمناخ يشتركان في صفة هيكلية واحدة تدعو إلى المقارنة: مقدار الوفاة هو دليل على مقدار الفعل أو التقاعس من جانب الدول. إذا تُركا دون علاج، فإن كلا المرضين يتضخمان ذاتياً، وكلما زاد عدد المصابين وأصبح الكوكب أكثر سخونة، كلما زادت آليات التغذية المرتدة من تسخينه، وبمجرد أن يتم البدء، فإن الطريقة الوحيدة لإنهاء هذه الحروق المتصاعدة هي قطع الصمامات. قدمت دول في شمال الكرة الأرضية الآن دليلاً على أن هذا ممكن. عندما طالب نشطاء المناخ والمدافعون والعلماء بخفض الانبعاثات، قيل لهم إن ذلك سيكون مكلفاً للغاية: فقد يقلل من عُشر في المائة من الناتج المحلي الإجمالي.. «لا تبرر أزمة المناخ السياسات التي تكلف أكثر من 0.1 نقطة مئوية من النمو».. هذا ما قالته صحيفة وول ستريت جورنال في عام 2017. قد يفقد البعض وظائفهم. يمكن أن يكون هناك حالات إفلاس. لن يقبل الناس أبداً الاضطرابات في الحياة التي اعتادوا عليها، وعلى أي حال، إذا كان البعض سيخفض انبعاثاته، فسيكون هناك دائماً آخرون الفرسان الأحرار الذين ينغمسون في ملذات الكربون

ويضيف: «كما اتضح في ما بعد، خرج كل هذا وأكثر من النافذة في مارس 2020. لم تتضمن أي خطة للانتقال من الوقود الأحفوري على الإطلاق التفكك الذي تم إطلاقه عن قصد في ذلك الشهر: لم يقترح أحد أن الرأسمالية العالمية يجب أن تتوقف بين عشية وضحاها لإنقاذ المناخ. لم يقترح أحد خفض الانبعاثات بمقدار الربع في ثلاثين يوماً، فقد تم تجاهل الطلب بنسبة 5 أو 10 في المائة سنوياً باعتباره طرفاً يتجاوز الحدود. لم يجادل أحد في أنه يجب وضع الإنسانية تحت حظر التجول. لا توجد خريطة طريق، ولا بيان، ولا رؤية من حركة المناخ – ولديها نصيبها من المتطرفين – رسمت أي شيء مثل عاصفة نيزكية لتدخلات الدولة التي ضربت الكوكب في مارس 2020، ومع ذلك قيل لنا دائماً إننا «كنا غير واقعيين، غير براغماتيين، حالمين أو مذعورين. لا ينبغي الاستماع إلى مثل هذه الأكاذيب مرة أخرى».

ويبين أنه «يمكن تأطير كل من «كورونا» والمناخ على أنهما مشاكل العمل الجماعي التي يحبها منظرو اللعبة: سيستمتع الجميع بثمار التعاون – جائحة مهزومة، ومناخ مستقر – ولكن يمكن لأي فرد أن يهرب ويذهب في إجازة في بقعة ساخنة، الامتناع عن غسل يديه والتحدث على بعد خمسة سنتيمترات من وجهه محاوره أو الانغماس في انبعاثات باهظة. لن يضطر إلى التخلي عن أي عادة عزيزة مع الاستفادة من الجهود الإجمالية مثل أي شخص آخر. ولكن إذا

تصرف الجميع بهذه الطريقة، فسيذهب كل شيء سدى. سينهار العمل الجماعي، كما توقع أولئك المترددون بشأن التخفيف من آثار تغير المناخ. ومن ثم يجب على المرء أن يتذكر، مرة أخرى، أنه لم يطلب أي من مناصري التخفيضات الجذرية للانبعاثات من الناس أن يخضعوا لشيء مزعج مثل الإغلاق. لن يتطلب التخفيف من حدة المناخ أن يصبح الناس نساءً في منازلهم. في الواقع، ستكون الحياة اللطيفة مواتية لهذا المشروع: ركوب حافلة، أو مشاركة وجبة، أو إقامة حفلة مخبوقة في الشارع، أو قضاء الوقت مع أحبائك في منازل التقاعد، أو دفع ثمن حفلة موسيقية. بما يتماشى مع السعي إلى العيش بدون وقود أحفوري. لا يقتصر الأمر على قدرة برنامج الطوارئ المناخية على تخطي التداخلات مع التنقل البدائي في الفضاء، بل يمكن أن يقدم تحسينات في نوعية الحياة، كما أثبتت الحركة من خلال «سنوات من الدعاية والتطبيق العملي على المستويات خارج الحدود الوطنية

ويقول في النهاية: «يجب التغلب على العدو ذي المستوى الأعلى، وليس لمدة شهر أو عام أو عامين.. يجب أن يكون إغلاق رأس المال الأحفوري دائماً. إن حالة الطوارئ نفسها، بالطبع، لن تكون أبدية؛ ستكون هناك فترة انتقالية تدوم آثارها أو تفشل. قد تكون الفترة أطول مما كانت عليه بالنسبة لكوفيد-19 على الرغم من أنه حتى كتابة هذه السطور، لا يمكن لأحد معرفة المدة التي سيستغرقها هذا، ولكن يجب أن تكون أقل إيلاً إلى حد كبير. سوف يستلزم المزيد من الانهيار الشامل للملكية الخاصة. سوف تدفن أشكال من رأس المال من أجل الخير. سيكون شيئاً أقرب إلى شيوعية «الحرب».

ترجمة وعرض:

نضال ابراهيم